العمارة العربية الاسلامية

م.م.علي سعد عبد الوهاب

المحاضرة الاولى

جامعة المثنى

كلية الهندسة

قسم هندسة العمارة

الاسبوع الأول

العمارة العربية الاسلامية

ماضيها وحاضرها ومستقبلها

المحتويات

صفحة

المقدمة ..... ز
شكر وتقدير ..... ك
عرفان ..... م
فهرس الأشكال ..... س
الفصل الأول : العمارة العربية الإسلامية
في عصورها المبكرة (القرن ١ ـ ٣ هـ / ٧ ـ ٩ م) ١
الفصل الثاني : العمارة العربية الإسلامية
في عصورها الوسيطة (القرن ٤ ـ ٩ هـ / ١٠ ـ ١٥ م) ٥٧
الفصل الثالث : العمارة العربية الإسلامية
في عصورها الأخيرة (القرن ١٠ ـ ١٣ هـ / ١٦ ـ ١٩ م) ١٣٧
الفصل الرابع : العمارة العربية الإسلامية
عناصرها المعمارية الرئيسية : ١٥١
المحراب ، المئذنة ، القبة ، العقود ..... ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٧٧ ، ١٩٩
الفصل الخامس : العمارة العربية الإسلامية
في عصرها الحاضر ٢٠٩
الفصل السادس : العمارة العربية الإسلامية
في مستقبلها ٢٣٩
الخاتمة ٢٦٣
المراجع ٢٦٥
الكشاف ٢٧١

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

تبدأ دراساتنا بلمحة أولى على فجر الحضارة العربية الإسلامية وما انبثق عنها من طرازها المعماري .

ومن الحقائق المعروفة أن العمارة تتميز من بين الفنون والعلوم والآداب بأنها أهم المراجع وأصدقها لتسجيل وتجسيم مراحل الحضارات في تطوراتها وعصورها المختلفة .

ومن المعروف كذلك أن العالم العربي الإسلامي وحضارته قد تعرضا لعدة أحداث هامة في فترة طويلة من عمر البشرية قربت من ١٤ قرناً ، وأن تلك الأحداث قد تركت بصماتها على الحضارة والعمارة في تلك الفترة .

وسجلت العمارة العربية الإسلامية منذ البداية وإلى أيامنا هذه ، وفي صدق وأمانة ، آثار تلك الأحداث ، من حلوها ومرها ، ومن هدوء وهزات ، ومن عسر ويسر ، ومن سلم وحرب ، ومن علاقات ود ونفور ، وما صاحبها من تعاطف وصراع بين أقطار العالم العربي الإسلامي وبعضها البعض ، وبينها وبين الدول الأخرى غير الإسلامية المعاصرة لها .

ويوضح ذلك السجل المعماري العريق والمرجع المجسم أن فتوح العرب التي قاموا بها منذ ظهور الإسلام ونجحوا فيها قد كونت دولة عظمى من عدة أقطار ، وأن تقاليد تلك الدولة قد قامت على أسس موحدة من الدين الحنيف واللغة العربية . وأن تلك الأسس قد استمرت حية قوية تربط بين تلك الأقطار وحتى بعد أن تطرق التفكك إلى علاقاتها ببعضها البعض من النواحي السياسية ، وبعد أن أخذ كل قطر أو أكثر يتخذ لنفسه سمات خاصة يتميز بها في قليل أو كثير عن بقية الأقطار الأخرى ، متأثراً في ذلك بعوامل البيئة المحلية ، وبالعوامل التي نشأت من صلاته بأقطار ودول أخرى إسلامية وغير إسلامية . الأمر الذي أنتج عدة مدارس معمارية عربية إسلامية محلية في كل منها ، ولها سماتها ومميزاتها ، بالإضافة إلى الطابع العربي الإسلامي العام الذي لا يمكن الخطأ فيه ، والذي كانت كلها تنضوي تحت لوائه .

وتتمثل نقطة البداية في تاريخ العمارة العربية الإسلامية في دار الرسول عليه السلام في المدينة المنورة بعد هجرته إليها (ش : ١ و ٢) ، ثم ما توالى عليها ، بعد أن تحولت إلى

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

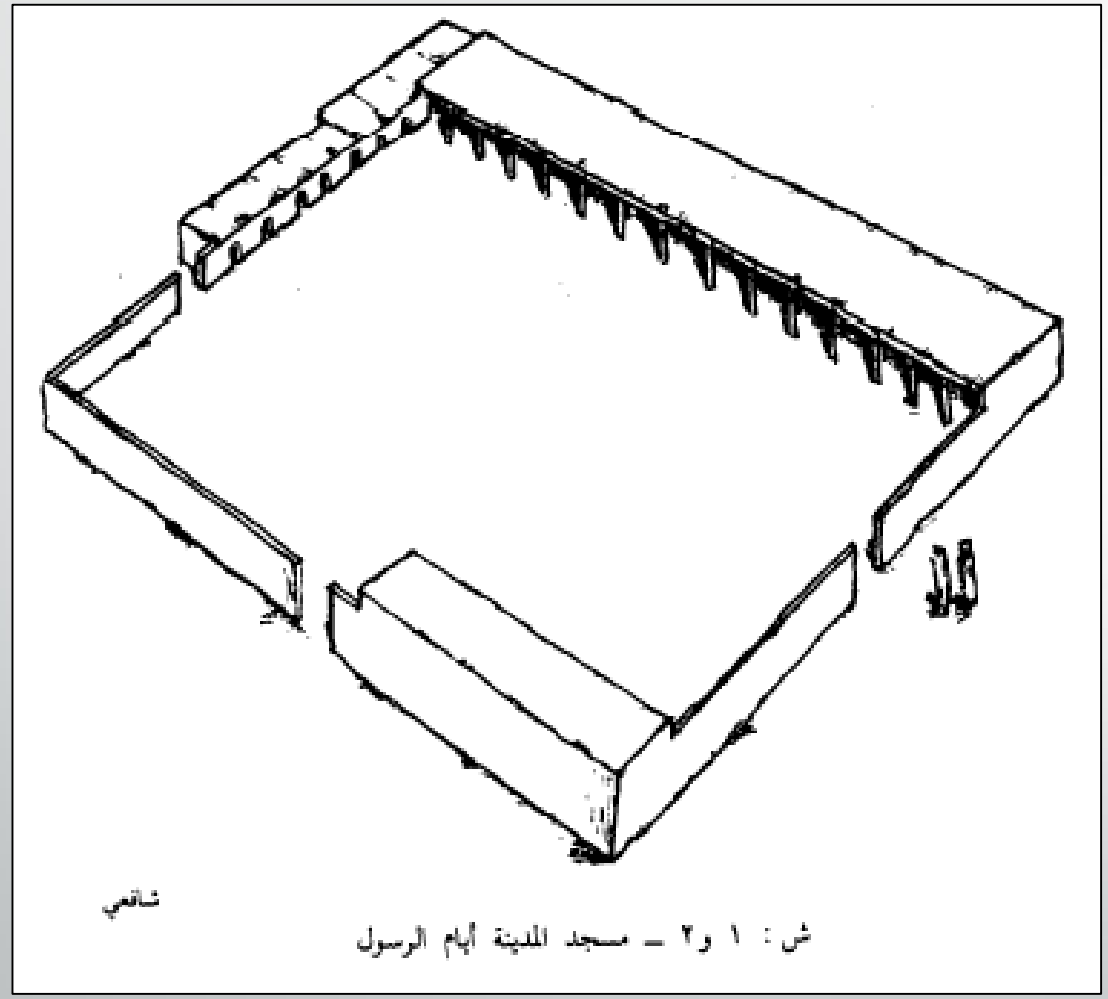

شاتفي

ش : ١ و٢ ــ مسجد المدينة أيام الرسول

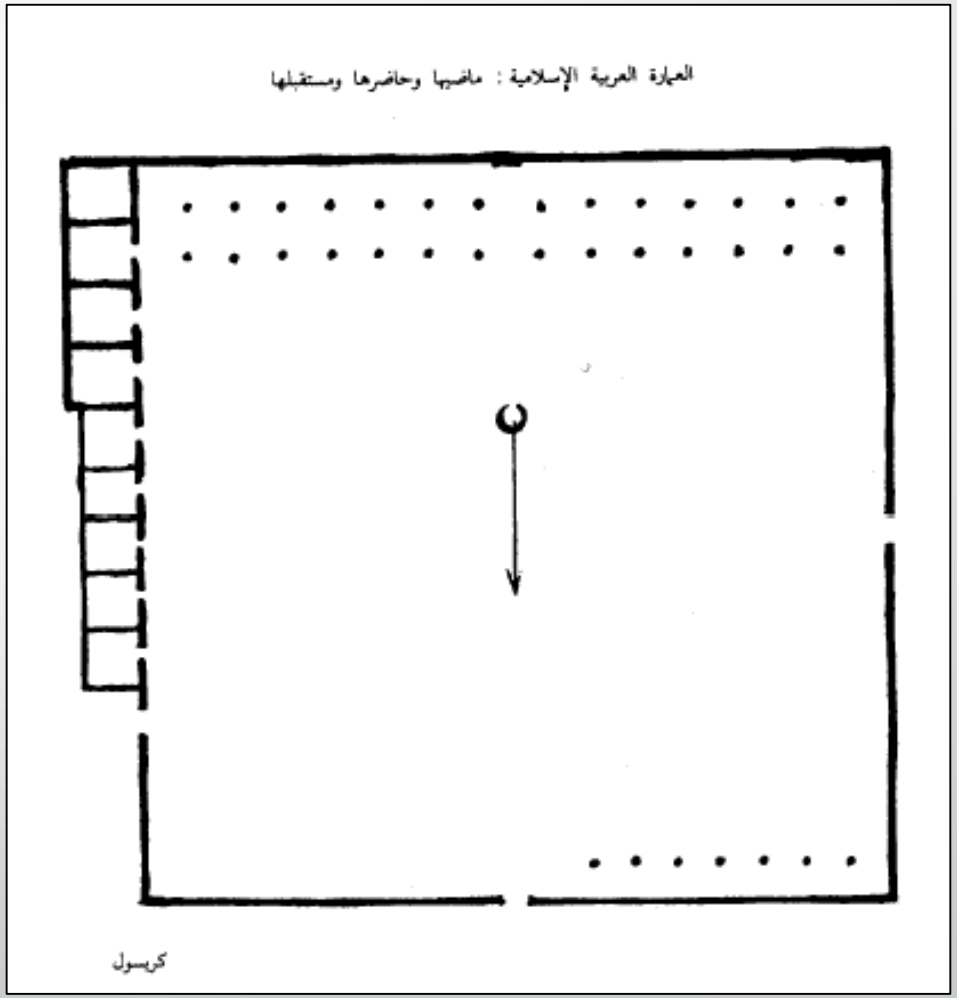

كريسول

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

مسجد ، من إضافات وتعديلات ومن مراحل تطور حتى انتهى إلى شكله النهائي في أيام عثمان بن عفان (ش : ٣ و ٤) وذلك في عام ٢٦ هـ (٦٤٦ م)[1] ، والذي صار نموذجاً يحتذي به المسلمون في تشييد مساجدهم في أنحاء العالم الإسلامي ، ثم ما انبثق بعد ذلك من أنواع مختلفة من العمائر ومن أساليب وتقاليد تصميمية وبنائية على مر العصور واكبت مسيرة الحضارة العربية الإسلامية في مراحل تاريخها .

ومن الجدير بالذكر ، أن دار الرسول صلى الله عليه وسلم قد خططت في أول مراحلها في بساطة كبيرة واقتصاد شديد يتفقان مع الظروف التي كانت محيطة آنذاك بالمسلمين ، وكان تخطيطها على أيدي الرسول صلى الله عليه وسلم والعرب المسلمين من مهاجرين وأنصار .

بدأت الدار بحجرتين من جدران من اللبن والطين وأمامهما فناء يحيط به أسوار شيدت باللبن ، وترتفع إلى أكثر قليلاً من قامة رجل . ثم زاد عدد الحجرات إلى أربع ثم إلى تسع .

وجعل في الركن الشمالي الغربي من الفناء ظلة صغيرة أو صُفة تقام فيها الصلاة إذا ما حان أوانها .

وأضاف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ظلة أخرى أكبر بطول الجدار الجنوبي كله للفناء (ش : ١ و ٢) ، وذلك عندما نزلت الآية الكريمة بالأمر بالاتجاه إلى الكعبة عند الصلاة ، وبذلك تحول فناء الدار إلى صحن لأول مسجد شيد بالبناء في العصر الإسلامي ، ثم وسعه عمر بن الخطاب ، ومن بعده عثمان بن عفان بعد نحو عشرين عاماً فأضاف ثلاث ظلات أخرى وبذلك أصبح الصحن محاطاً بأربع ظلات ، تمتاز تلك التي في ناحية القبلة بعمق أكبر من بقية الظلات (ش : ٣ و ٤) ، ولذلك فإنه لا يمكن أن يتطرق أي شك في أن التخطيط Design قد اتخذ شكلاً معمارياً واضحاً منذ أول العصر العربي الإسلامي ، وذلك من قبل أن تتم الفتوح الإسلامية ويحتك العرب الفاتحون بالحضارات والطرز المعمارية المعاصرة .

وكل ذلك يوضح في جلاء تام أن المسجد لم يخضع لأية تأثيرات جاءت إلى مهد الإسلام من تلك الحضارات وطرزها المعمارية .

وأصبح ذلك التصميم على بساطته الكبيرة نواة للعمارة العربية الإسلامية ، سواء للمساجد أو لغيرها من العمائر الدينية والمدنية ، وهو أمر يجب أن يؤخذ في الاعتبار في أبحاث العمارة العربية الإسلامية ، فإن اللب والأساس في العمارة عامة هو التخطيط والتصميم ، أما الأناقة في البناء والزخرفة فإنها تعد ثانوية بالنسبة إلى تلك المرحلة الأساسية ، أي التخطيط والتصميم ، ويمكن اعتبارها بمثابة ثياب أو زينة وقشور خارجية تسهم بعض الشيء مع السمات والخصائص في تكوين شخصية الطراز .

كذلك يجب أن لا ننسى أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه قد تحاشوا الاندفاع وراء التأنق في الوقت الذي تركزت فيه كل جهودهم وإمكاناتهم الذهنية والمادية على مقاومة الشرك وأهله ، وعلى نشر الدعوة إلى الدين الحنيف ، وما كان يجب أن يُفسَّر ذلك بخلو الجزيرة العربية من الأناقة والدراية بالأساليب المعمارية ،

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

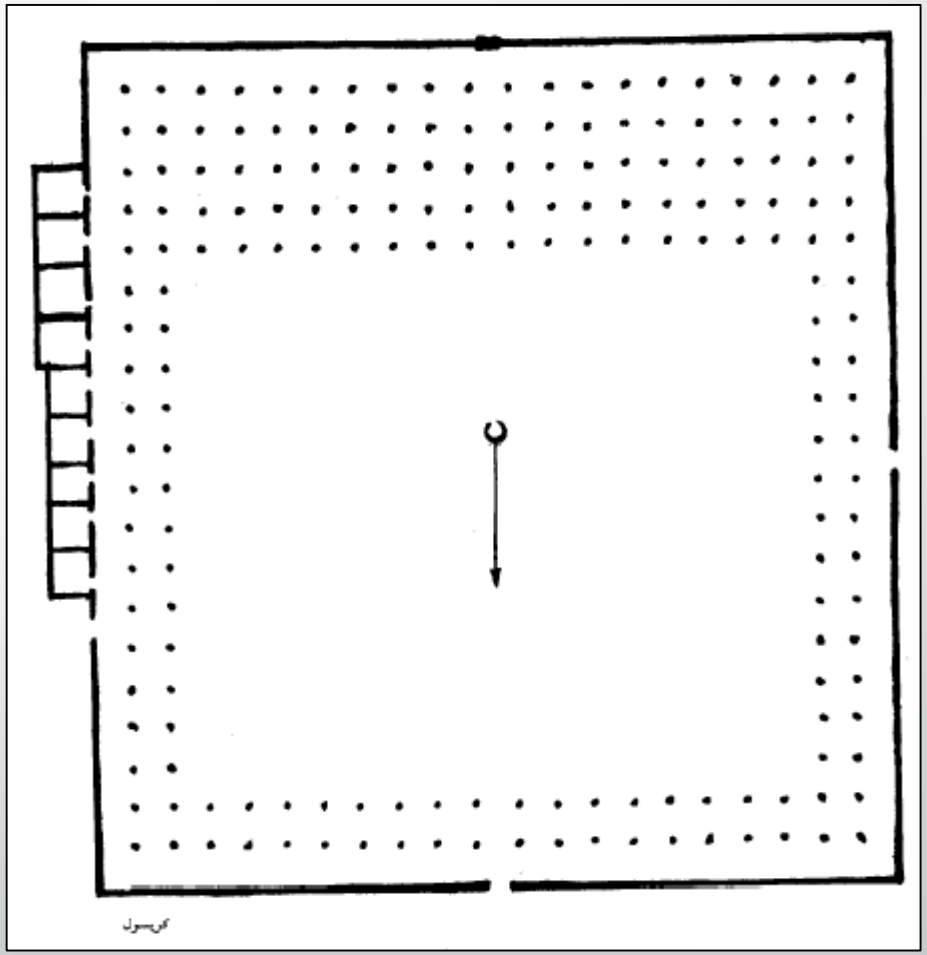

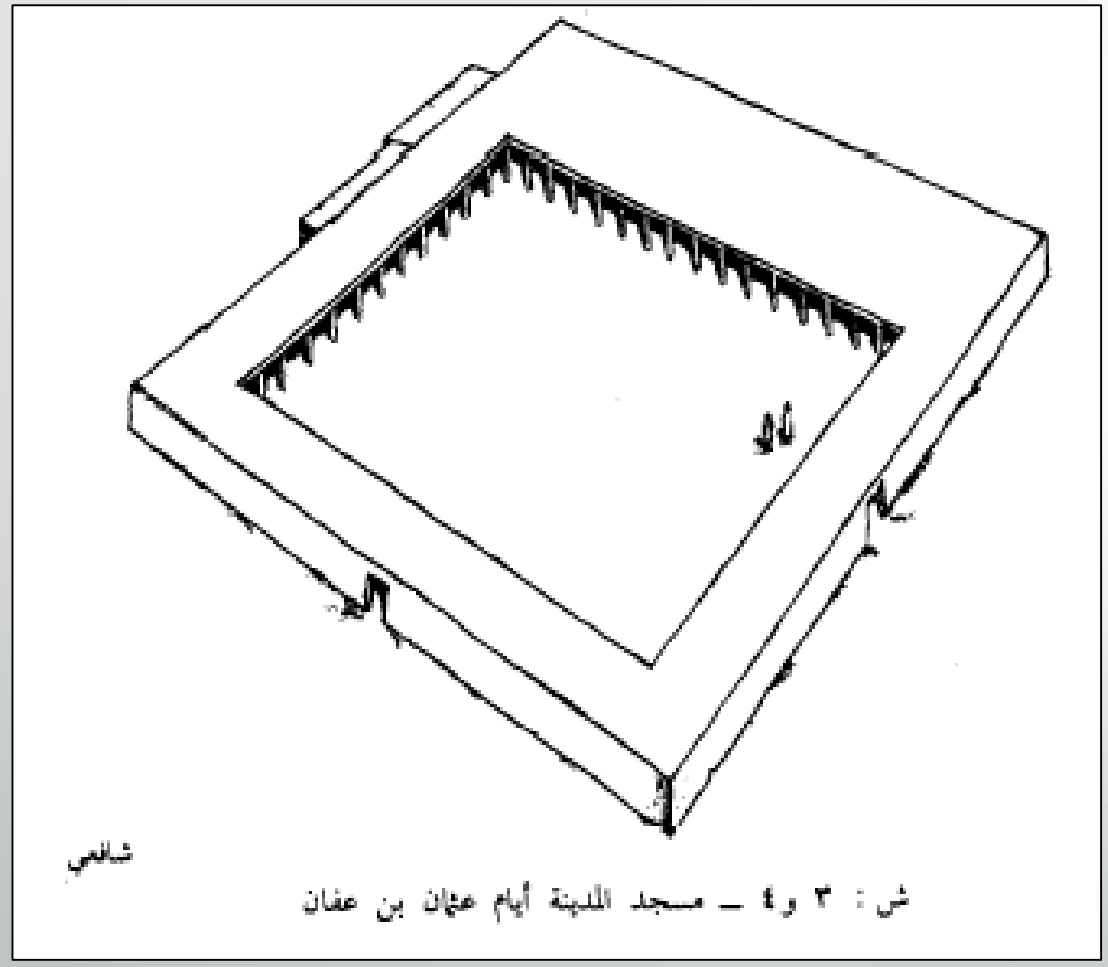

شافعي

ش : ٣ و٤ ــ مسجد المدينة أيام عثمان بن عفان

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

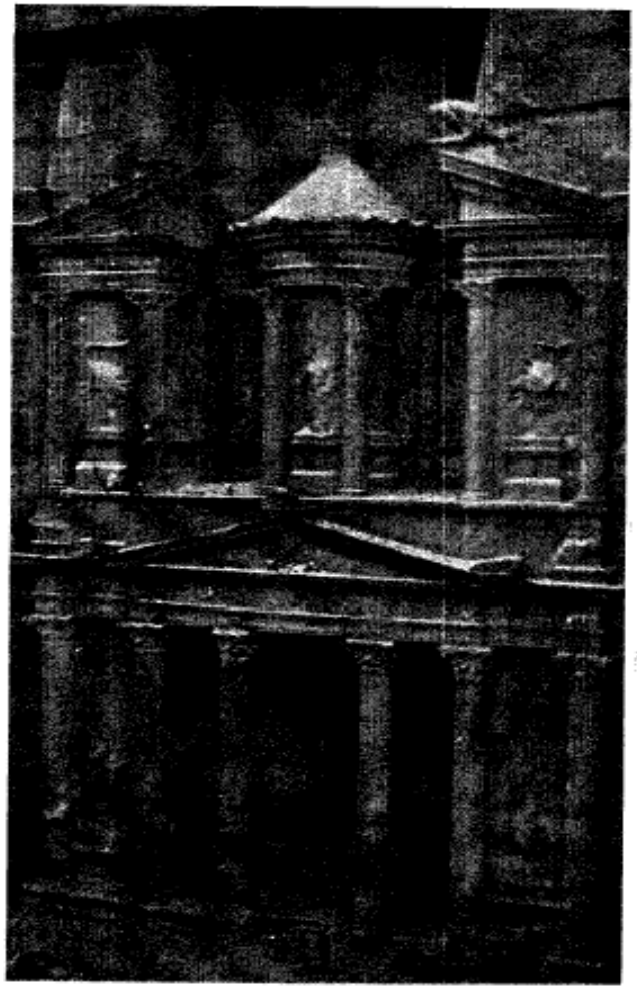

الإعداد الأردني

ش : ٥ ــ البطراء ، معبد الخازنة

وإلى جهل أهلها بكل ذلك ، وهي نظريات نادى بها المستشرقون على غير أساس وبغير أدلة أو براهين ، وهو أمر يدل إما على التحامل أو الجهل ، فإنه مما لا شك فيه أن مدن يثرب ومكة والطائف وغيرها من المراكز الحضرية كان بها طرز من العمارة تتجلى فيها الأناقة والترف والزخارف ، وقد ورد الكثير من أوصافها في المراجع القديمة . أما عدم العثور على آثار من تلك العمائر فإنه ليس بدليل على خلو الجزيرة العربية من طرز من العمارة تتمتع بشخصية وسمات تتميز بها ، ولعل محاولات الحفر التي بدأت تتخذ خطوات جدية منذ عهد قريب في بقاع المملكة العربية السعودية ستكشف عن بعض تلك السمات والخصائص التي أخفاها الدهر .

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

وبالاضافة إلى تلك الأدلة المنطقية فإن هناك من الأدلة المادية التي تتمثل في الآثار الباقية في مناطق من شمال شبه الجزيرة العربية ، منها ما يوجد في منطقة البطراء في الأردن (ش : ٥ و٦)[٢] ، وفي منطقة العلا ومدائن صالح ومغاير شعيب وغيرها من المناطق الشمالية من المملكة العربية السعودية (ش : ٧ و٨ و٩)[٣] ، وكلها تدل بجلاء على دراية أهل تلك المنطقة العربية النبطية في العصر الجاهلي بأساليب وتقاليد معمارية أصيلة ، لها شخصيتها وخصائصها ، ومن الخطأ الفادح وضعها مع الطراز الروماني الهلينستي الذي حاول العلماء الغربيون نسبة تلك الآثار إليه[٤] ، وذلك لمجرد وجود بعض الحليات والعناصر والزخارف الهلينستية الملامح ، بينما توجد عناصر كثيرة أخرى ذات أصول أشورية وفرعونية لا يمكن إنكارها أو تجاهلها ، فضلاً عن التصميمات المحلية التي توضح أن أهل تلك المناطق هم أصحاب الفضل فيها ، مما يجب معها فصلها تماماً عن الطراز الروماني أو الهلينستي ، والذي لا تمت إليه بصلة سوى بتلك الحليات والزخارف ، بينما تتميز في جوهرها بشخصية وخصائص لا إبهام فيها ، وتعدّها لأن تكون طرازاً قائماً بذاته ، سميناه « بالطراز العربي النبطي » . وقد توسعنا في تحليله وشرحه في الجزء الثاني من كتابنا « العمارة العربية في العالم الإسلامي » .

ويضاف إلى ذلك أيضاً ما يوجد في جنوب شبه الجزيرة العربية من آثار تتمثل في أنقاض جدران المعبد في قرية الأخدود في نجران[٥] ، وجدران عمائر أخرى (ش : ١٠ و١١) ، وشيدت تلك الجدران بأحجار ضخمة متقنة

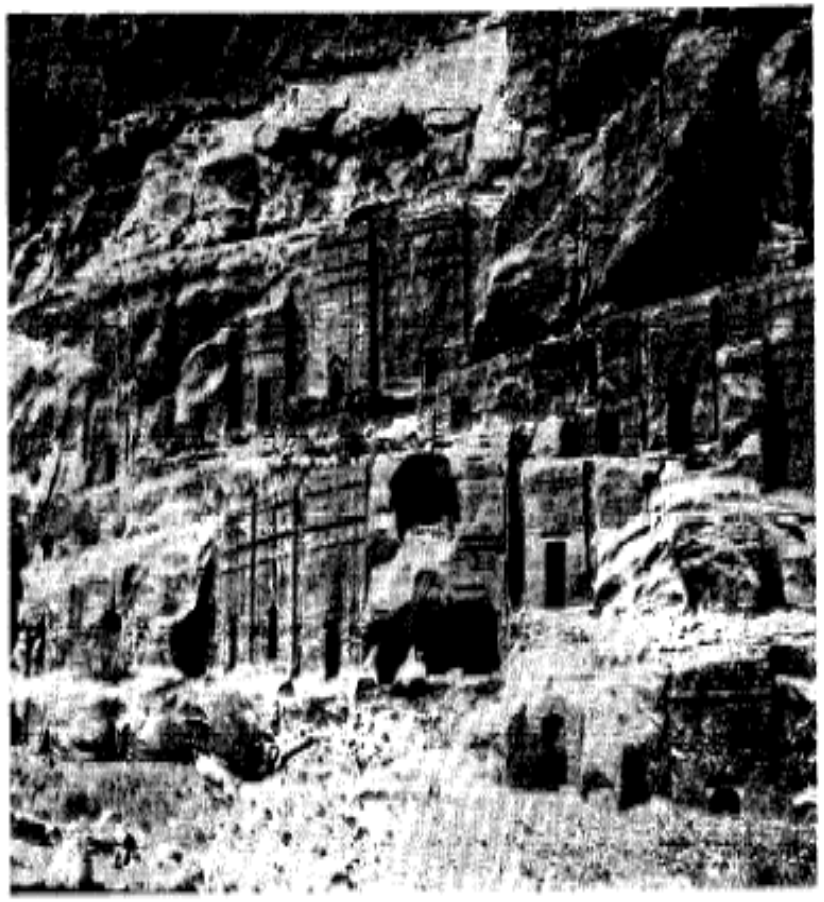

تصوير عبد العزيز أبو سليمان

ش : ٦ ــ البطراء ، مقابر منحوتة في الجبل

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

النحت والبناء ، ومنها أحجار نحتت أوجهها الظاهرة والجانبية وبحيث يتميز الوجه الخارجي لبعضها بأن أحيط بإطار أملس عريض وتركت الحشوة بداخله خشنة منقرة ، وهو الأسلوب المعروف لنا في الوقت الحاضر وباللغة المعمارية الدارجة باسم « الدستور المبوّص » (rusticated masonry) كما يتضح في الصورة (ش : ١٠) . هذا إلى جانب الأحجار الأخرى ذات الأحجام الكبيرة والمنحوتة بدقة ومهارة ، والمشيدة كلها في مداميك أي صفوف منتظمة تدل بجلاء على دراية أهل تلك المنطقة أيضاً من شبه الجزيرة بالأصول المعمارية من تصميم وأساليب البناء ذات المستوى الرفيع .

ويزيد ذلك تأكيداً تلك البقايا من العمائر الموجودة في منطقة اليمن وحضرموت وظفار وعمان (ش : ١٢ و١٣)[٦] وتتميز بخصائص تتوازى تماماً مع ما في الطراز العربي النبطي في شمال شبه الجزيرة ، وذلك من حيث إتقان النحت والبناء بالأحجار الكبيرة الحجم بل وتزيد عليها في أسلوب عمل القوائم والأعتاب من كتل متعامدة الأسطح ومن قطعة واحدة (monolithic) .

وكل ذلك لا يترك مجالا للشك في أن منطقة الحجاز التي كانت همزة الوصل بين الشمال والجنوب ، وكانت القوافل تنتقل بينها في رحلات الصيف إلى الشمال وفي الشتاء إلى الجنوب ، لا يمكن أن تكون خلواً من العمارة كما نادى به بعض الغربيين ، حيث قال أحدهم بصريح العبارة : « العمارة لا وجود لها في البلاد العربية في هذا الوقت » وهو يقصد وقت ظهور الإسلام ، ونصها بالإنجليزية :[٧]

Architecture non-existent in Arabia at this time .

ش : ٧ ـ مدائن صالح ، منظر عام

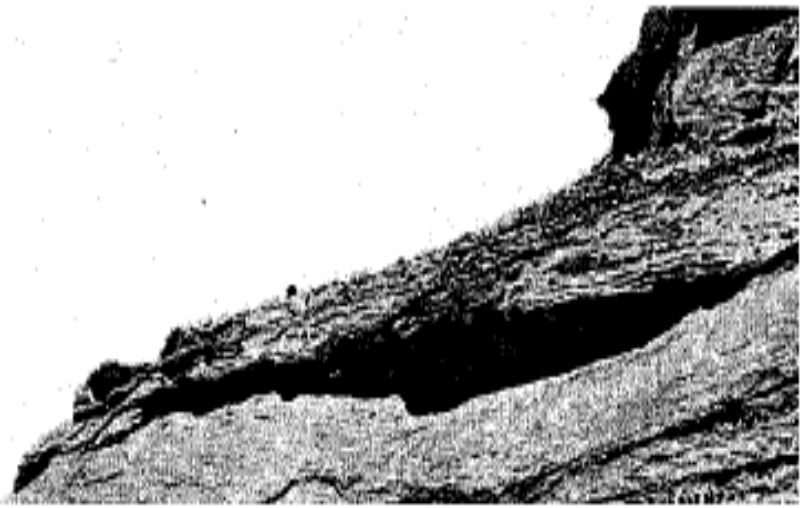

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

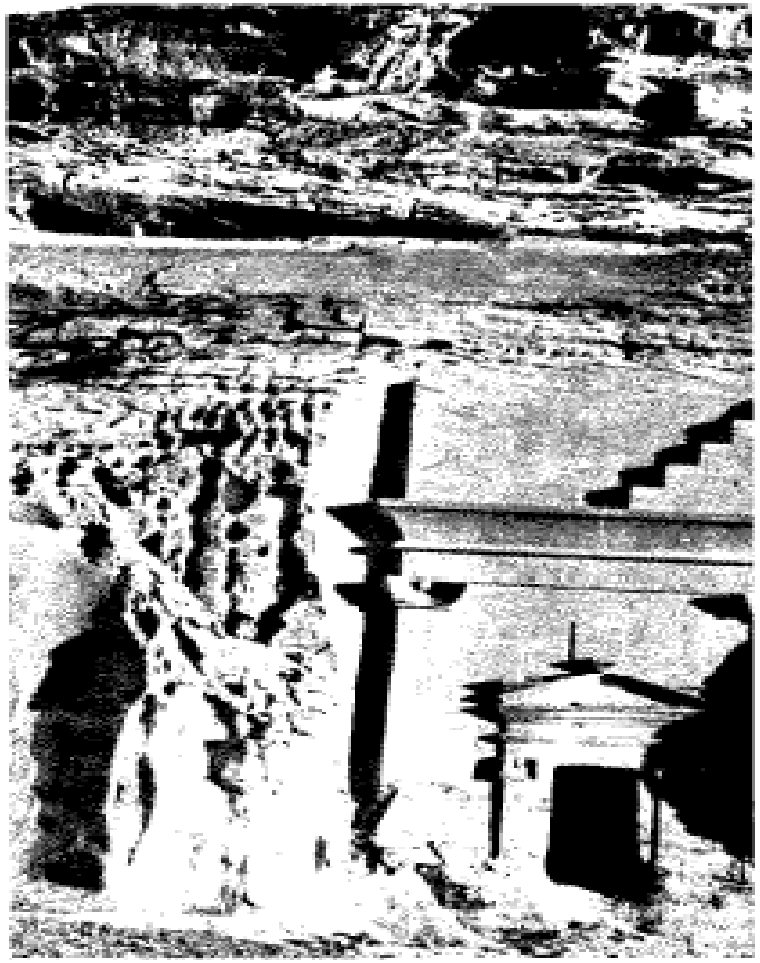

إدارة الآثار السعودية

ش : ٨ ــ مدائن صالح ، شرافات مسننة كبيرة وصغيرة

إدارة الآثار السعودية

ش : ٩ ــ مدائن صالح ، داخل قبر

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

وإذن فلا بد من أن يكون قد قام على أراض بقاع من الحجاز نوع أو أنواع من الطرز المعمارية المحلية ، وكان من الطبيعي أن تتضح فيها ابتكارات وتأثيرات بعض منها من هنا وبعض آخر من هناك . الأمر الذي ستكشف عنه بغير شك أعمال التنقيب والبحث العلمي الجادة ، وفي وقت لعله يكون قريباً ، وبخاصة أن الأنظار والجهود قد بدأت تتجه جدياً نحو ذلك الهدف .

ثم إن هناك من الأدلة المادية المعمارية أيضاً ما يدل على أن العرب المسلمين قد اتجهوا إلى التأنق في عمائرهم بعد أن اطمأنوا إلى إتمام الفتوح وبلوغ الهدف منها ، من حيث نشر الدين الإسلامي واللغة العربية ، وأرسوا قواعد الدولة العربية الإسلامية على أساس الدين واللغة . وقامت على تلك الأسس الحضارة العربية الإسلامية وعمارتها ، وسارت في الطريق الذي رسمته لها الظروف السياسية والمناخية والاجتماعية وغيرها من العوامل التي تبلورت منها وأثرت عليها .

وتكونت للعمارة مفاهيم وأفكار وتقاليد على تلك الأسس المشتركة بين جميع أقطار الدولة ، مما أضفى على الطراز كله في جميع تلك الأقطار وفي جميع العصور طابعاً عاماً مشتركاً . غير أنه كان يشترك معه في نفس الوقت طابع معماري محلي يتميز به في كل قطر عن الآخر . وبالإضافة إلى هذين الطابعين ، العام والخاص ، فقد يشترك في بعض الخصائص قطران أو أكثر متجاورين في الموقع الجغرافي ، ومن أمثلة ذلك المنطقة الشرقية من العالم

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

الإسلامي ، وتشمل الهند وفارس والعراق ، ثم المنطقة الوسطى التي تضم الشام ومصر ، ثم المنطقة الغربية منه والتي تشمل إقليم برقة (ليبيا حالياً) ، وإفريقية (تونس) ، والمغرب الأوسط (الجزائر حالياً) ، والمغرب الأقصى (مراكش حالياً) ، ثم الأندلس أو شبه الجزيرة الأيبيرية .

ومما يذكر للعصر العربي الإسلامي ، تأسيس عدد من المدن ، مثل الكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان وواسط . غير أن تخطيطها لم يتبع نظاماً هندسياً بل كان على نظام الخيمات التي نتجت من أن العرب كانوا يقيمونها بجوار موقع له أهمية حربية مثل قلعة أو مدينة حصينة ، وبعد استيلائهم عليه كانوا يستبدلون الخيام بالبناء ، وسنرى غير ذلك في العصر العباسي .

ومن النقاط الحضارية المعمارية الهامة ذلك التقليد أو القانون المعماري الإسلامي الذي أمر به عمر بن الخطاب واليه على مصر عمرو بن العاص أن يراعى في بناء الدور والمساكن في الفسطاط إذا زاد ارتفاعها عن طابقين أن ترفع النوافذ في الطابق فوق الأرض إلى القدر الذي لا يسمح بأن يطل أحد من أهل الدار على جاره فيجرح حرمته ، حتى ولو كان المطل واقفاً على مقعد[٨] .

وذلك القانون لا بد أن يكون قد اتبع في العالم العربي الإسلامي بأسره ، ولم يكن قاصراً على مصر أو غيرها فحسب . وفي اعتقادنا أن ذلك القانون قد انبثق عنه أيضاً ، مع مرور الوقت ومع مراحل التطور ، ابتكار المشربيات لذلك الغرض ، ثم للتهوية ولأغراض أخرى . كما ساعدت عليه أيضاً فكرة الفناء الأوسط الذي أصبح تقليداً لا يمكن الاستغناء عنه في أي نوع من أنواع العمائر في العصر العربي الإسلامي ولكي تحيط به وحدات المبنى والمرافق

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

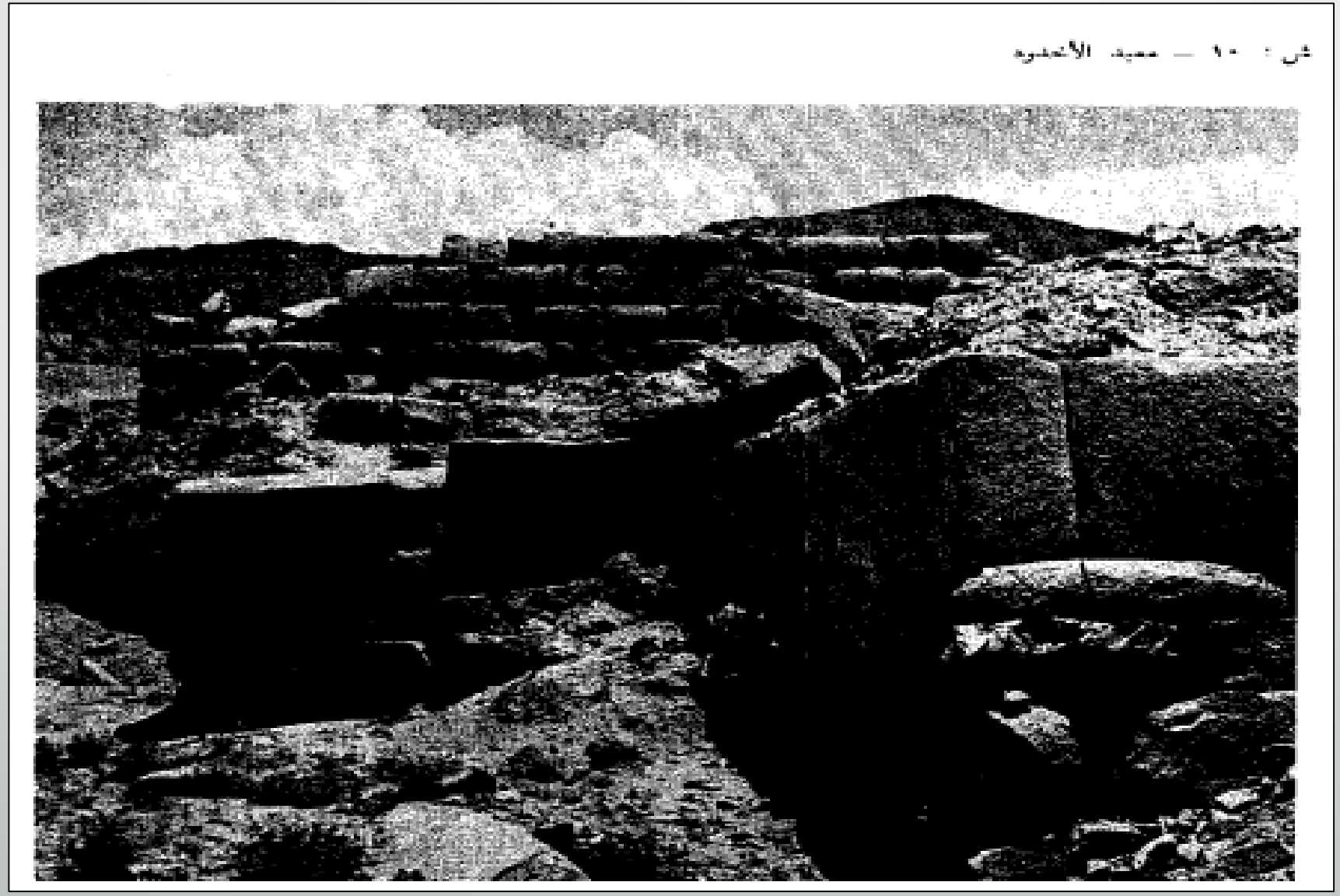

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

ش : ١١ ــ معبد الأخدود

تصوير فيصل المطلق

ش : ١٢ ــ اليمن وحضرموت ، معبد اله القمر

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

الأخرى ، لتستمد منه الإنارة والتهوية بغير أن يتعرض أهل الدار والسكان لأنظار الغرباء .

ثم اتضحت ملامح صريحة للطابع العربي الإسلامي للعمارة منذ تأسيس الدولة الأموية وامتداد الفتوح وإقامها منذ أيام الوليد بن عبد الملك .

وكان من المنتظر بل ومن المنطق أن تتدخل في هذا الطابع في البلاد المفتوحة تأثيرات محلية كانت قائمة في الأقطار التي تكونت منها الدولة قبل ووقت الفتح ، وهو أمر يتضح في بناء قبة الصخرة[٩] (ش : ١٤ ـ ١٧) والتي تعد أقدم العمائر الباقية من العصر العربي الإسلامي . ولكن على الرغم من وجود تلك التأثيرات فإن المدقق الحايد يمكنه أن يتبيّن طابعاً إسلامياً أثّر على أشكالها القديمة التقليدية التي كانت معروفة في العصور الهلينستية ، فحوّر من ملامحها . مثال ذلك ما حدث للعناصر الزخرفية النباتية المرسومة بالفسيفساء (ش : ١٧) وفي ألواح البرونز المطروق التي تكسو بواطن الأعتاب[١٠] والكمرات الرابطة وجوانبها (ش : ١٧) ، ثم وجود الافريز من الكتابة الكوفية الذي يسير تحت باطن السقف ويلتف بالدائرة الوسطى التي تتوسطها الصخرة (ش : ١٧) ، إلى غير ذلك من التأثيرات العربية والأذواق الإسلامية .

ويزيد الطابع الإسلامي وضوحاً في المسجد الأموي بدمشق الذي تبع تخطيطه النموذج النبوي الذي سبق شرحه (ش : ١٨ ـ ٢٣)[١١] ، وكان قد شيد على ذلك النظام منذ أول بنائه في عام ٩٦ هـ (٧١٥ م) ، مما يؤكد وضوح التقاليد المعمارية العربية الإسلامية في الجوهر واللب ، وذلك على الرغم من أن الجدران الخارجية التي وضع بداخلها ذلك التخطيط كانت قبل ذلك تحيط بمعبد روماني كبير الاتساع ، ثم استولى عليه المسيحيون وبنوا فيه كنيسة اشتراها منهم الوليد بن عبد الملك وأعطاهم أموالا وأرضاً ليقيموا عليها غيرها ، وذلك ليتمكن من بناء مسجده على المساحة كلها .

ذلك ما كان من أمر الجوهر ، أما المظهر ، أي من حيث التفاصيل والعناصر

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

الأخرى ، لتستمد منه الإنارة والتهوية بغير أن يتعرض أهل الدار والسكان لأنظار الغرباء .

ثم اتضحت ملامح صريحة للطابع العربي الإسلامي للعمارة منذ تأسيس الدولة الأموية وامتداد الفتوح وإتمامها منذ أيام الوليد بن عبد الملك .

وكان من المنتظر بل ومن المنطق أن تتدخل في هذا الطابع في البلاد المفتوحة تأثيرات محلية كانت قائمة في الأقطار التي تكونت منها الدولة قبل ووقت الفتح ، وهو أمر يتضح في بناء قبة الصخرة[9] (ش : ١٤ ـ ١٧) والتي تعد أقدم العمائر الباقية من العصر العربي الإسلامي . ولكن على الرغم من وجود تلك التأثيرات فإن المدقق المحايد يمكنه أن يتبيّن طابعاً إسلامياً أثّر على أشكالها القديمة التقليدية التي كانت معروفة في العصور الهلينستية ، فحوّر من ملامحها . مثال ذلك ما حدث للعناصر الزخرفية النباتية المرسومة بالفسيفساء (ش : ١٧) وفي ألواح البرونز المطروق التي تكسو بواطن الأعتاب[10] والكمرات الرابطة وجوانبها (ش : ١٧) ، ثم وجود الافريز من الكتابة الكوفية الذي يسير تحت باطن السقف ويلتف بالدائرة الوسطى التي تتوسطها الصخرة (ش : ١٧) ، إلى غير ذلك من التأثيرات العربية والأذواق الإسلامية .

ويزيد الطابع الإسلامي وضوحاً في المسجد الأموي بدمشق الذي تبع تخطيطه النموذج النبوي الذي سبق شرحه (ش : ١٨ ـ ٢٣)[11] ، وكان قد شيد على ذلك النظام منذ أول بنائه في عام ٩٦ هـ (٧١٥ م) ، مما يؤكد وضوح التقاليد المعمارية العربية الإسلامية في الجوهر واللب ، وذلك على الرغم من أن الجدران الخارجية التي وضع بداخلها ذلك التخطيط كانت قبل ذلك تحيط بمعبد روماني كبير الاتساع ، ثم استولى عليه المسيحيون وبنوا فيه كنيسة اشتراها منهم الوليد بن عبد الملك وأعطاهم أموالا وأرضاً ليقيموا عليها غيرها ، وذلك ليتمكن من بناء مسجده على المساحة كلها .

ذلك ما كان من أمر الجوهر ، أما المظهر ، أي من حيث التفاصيل والعناصر

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

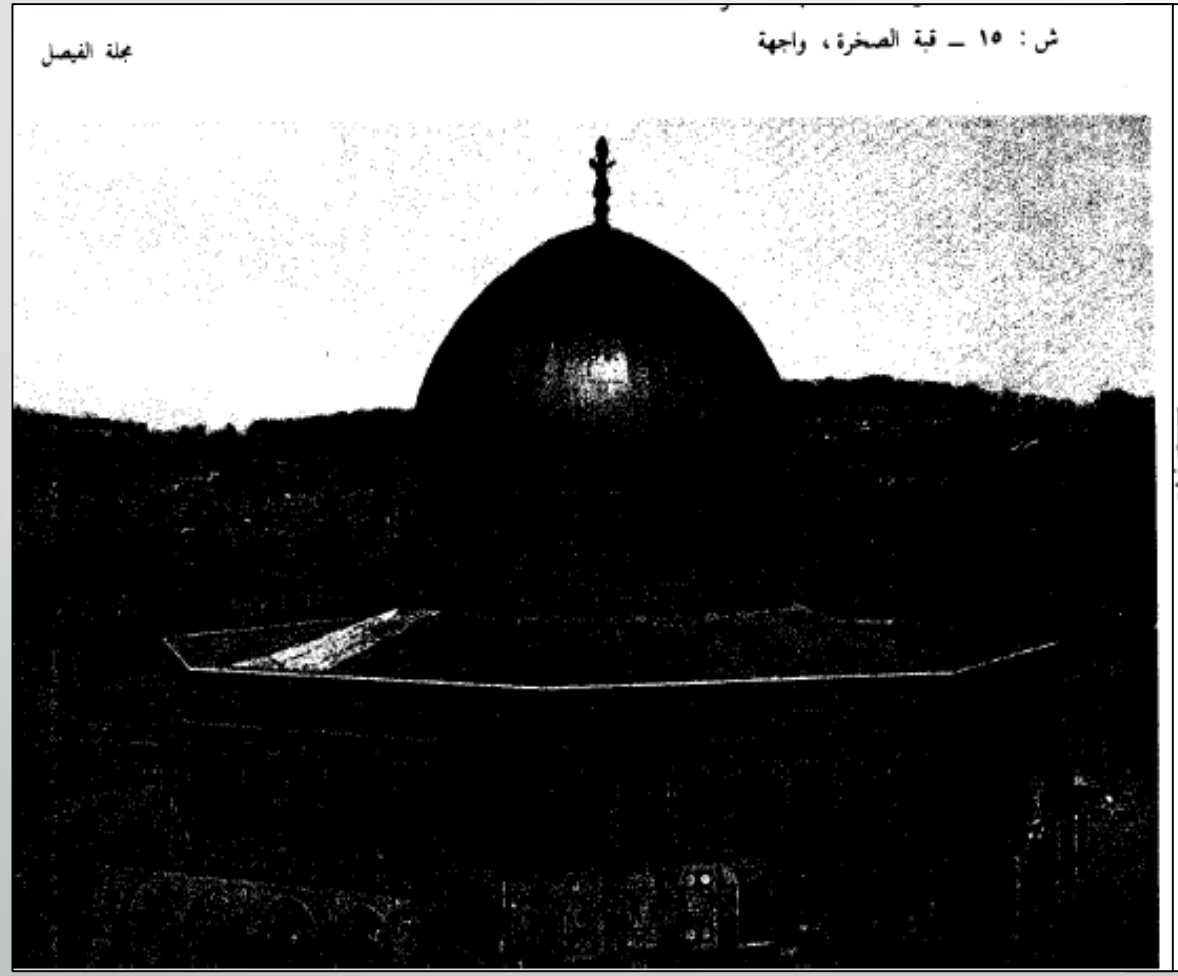

ش : ١٥ ــ قبة الصخرة ، واجهة

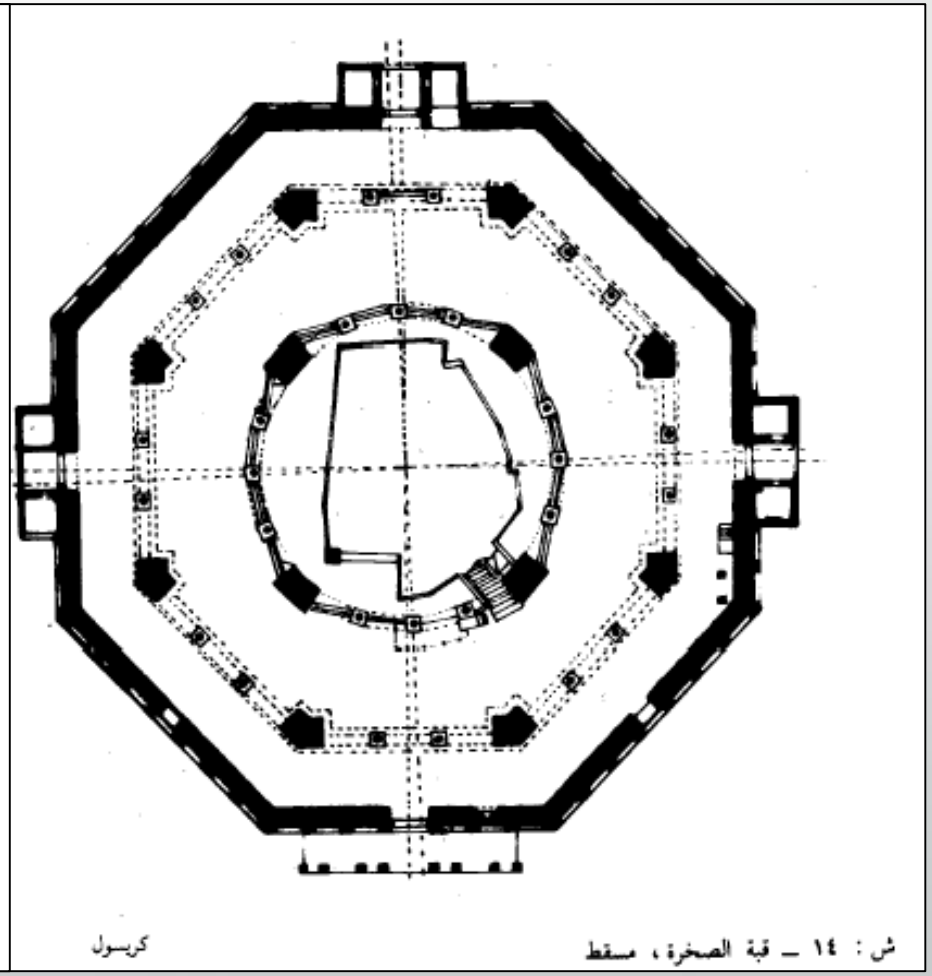

ش : ١٤ ــ قبة الصخرة ، مسقط

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

ش : ١٦ ــ قبة الصخرة ، منظر داخلي

كريسول

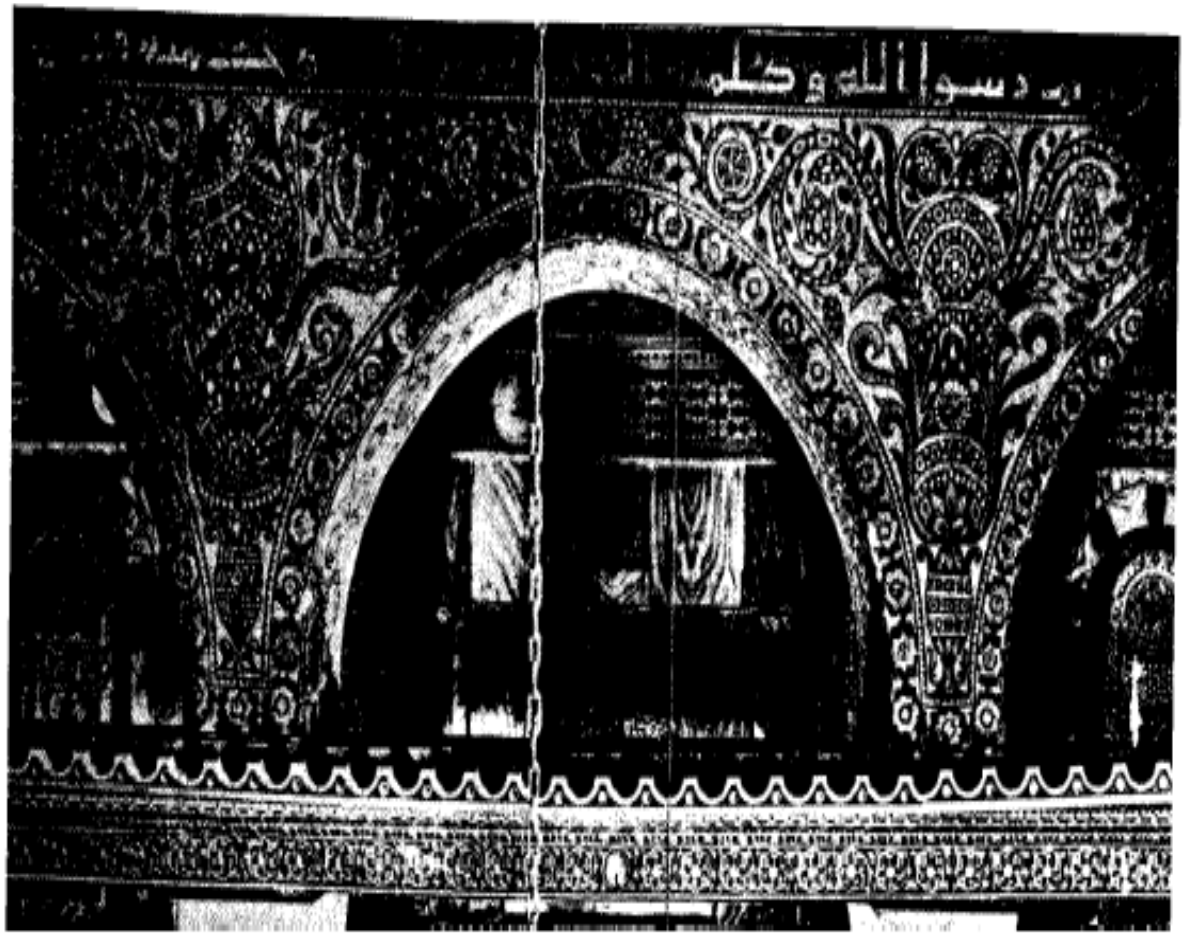

ش : ١٧ ــ قبة الصخرة ، فسيفساء

كريسول

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

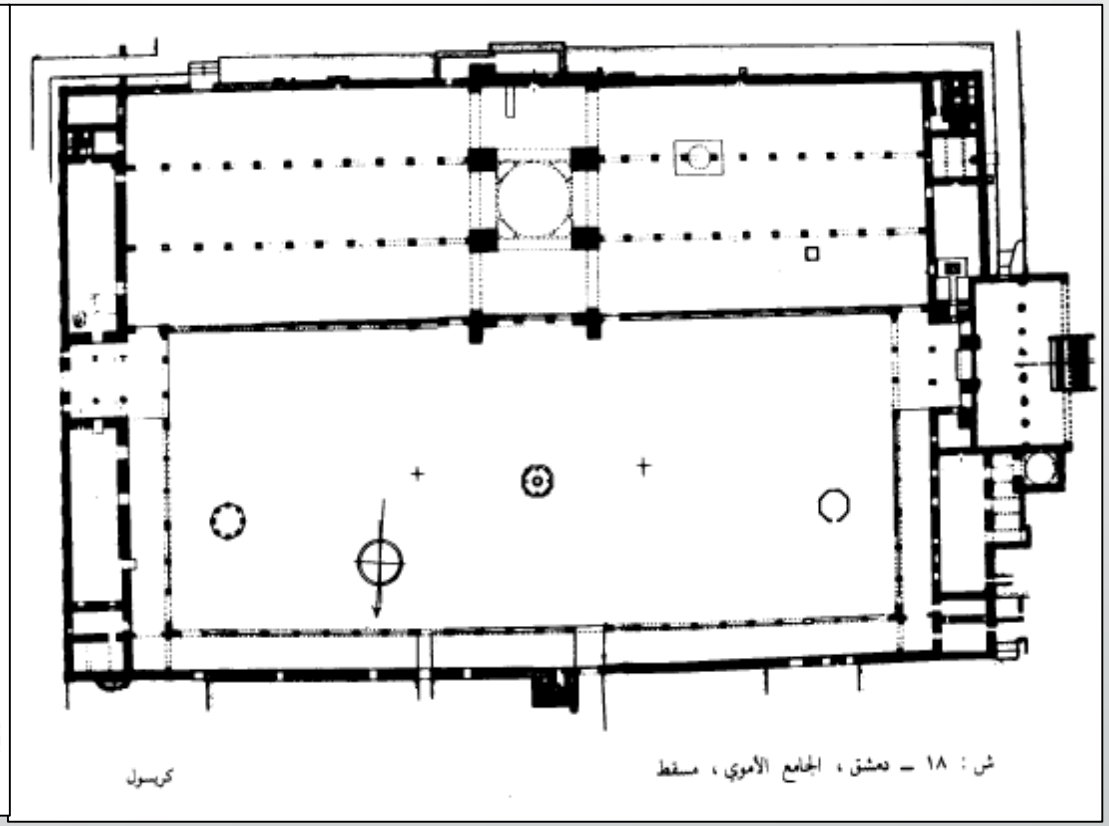

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

بقيت من عهدهم في منطقتي الشام والعراق ، منها الموجودة حالياً في الأردن مثل قصير عمره (ش : ٢٤ و ٢٥)[١٢] وشيد في ٩٦ هـ (٧١٣ م) ، وحمام الصرخ[١٣] وشيد في حوالي ١١٠ هـ (٧٣٠ م) . ومنها قصر المشتى (ش : ٢٨ ـ ٣٠)[١٤] وشيد في ١٢٦ هـ (٧٤٤ م) ، وقصر الطوبة الذي شيد في نفس التاريخ تقريباً[١٥] ، وقصر هشام بخربة المفجر (ش : ٢٦ و ٢٧)[١٦] وشيد أيضاً بعد قصري المشتى والطوبة بقليل ، ومنها قصير الخلابات والمسجد بداخله وشيد في حوالي سنة ١١٠ هـ (٧٣٠ م)[١٧] .

ومن تلك الآثار الأموية ما هو موجود حالياً في منطقة سوريا ، مثل قصر الحير الشرقي[١٨] وقصر الحير الغربي وشيدا في حوالي عام ١١٠ هـ (٧٣٠ م)[١٩] . ومنها ما يوجد في العراق مثل مدينة واسط التي شيدها الحجاج بن يوسف الثقفي في حوالي سنة ٨٦ هـ (٧٠٥ م) وشيد فيها قصراً حرف بالقبة الخضراء وغيره من العمائر[٢٠] .

ويتجلى ذلك النضج في تصميم كل من قصير عمره (ش : ٢٤ و٢٥) وحمام الصرخ ، إذ ينفردان بتخطيط مشترك خاص من حيث صغر الحجم ثم قلة عدد الوحدات المعمارية ، وكان كلا منهما قد شيد لإقامة مؤقتة ولفترة وجيزة في البادية بقصد الترويح عن النفس .

ويتكون التخطيط من قاعة للمعيشة وحجرتين للنوم بينهما دهليز ، ثم مجموعة من وحدات حمام ملتصق بالمجموعة السكنية التصاقاً عضوياً .

وشيد الحمام بمقياس مصغر على النظام الروماني ، أي من حجرة باردة تؤدي إلى حجرة دافئة ومنها إلى حجرة ساخنة يأتيها الهواء الساخن من خلال أنابيب تحت بلاطات أرضيتها من فرن بجوارها . والجديد هو التصاق الحمام بالسكن مباشرة فأصبح الجميع كتلة واحدة بعد أن كان الحمام يُشيَّد منفصلاً مثلما حدث في قصر هشام بخربة المفجر

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

ش : ٢٠ ــ دمشق ، الجامع الأموي ، واجهة الجاز
تصوير محمد عرفة

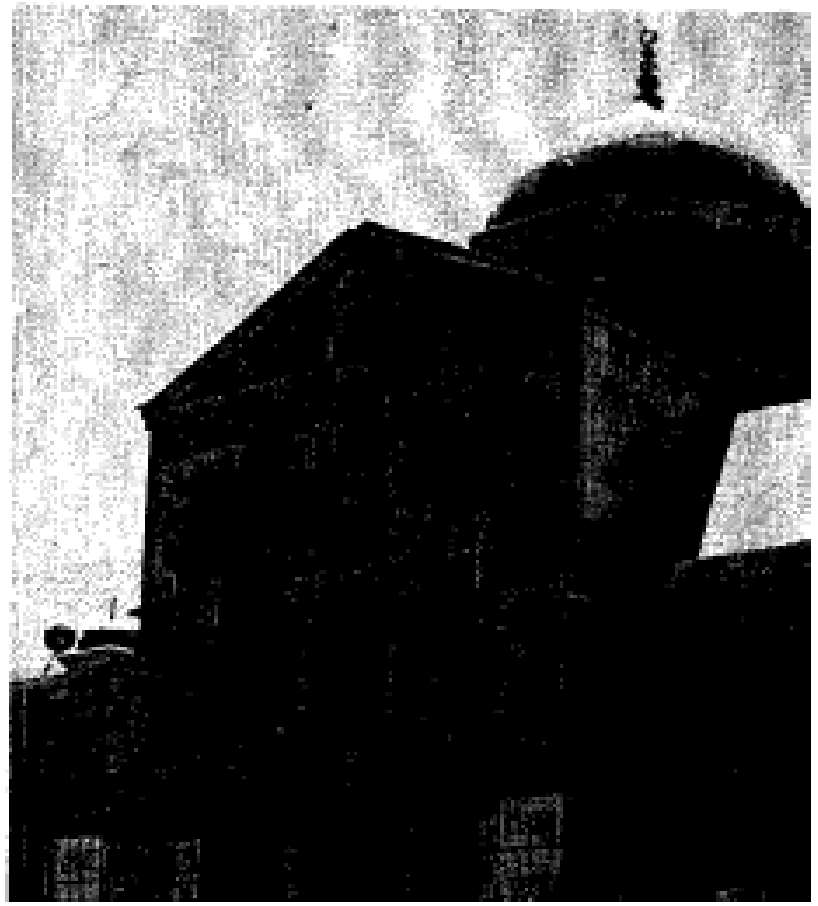

ش : ٢١ ــ دمشق ، الجامع الأموي ، فسيفساء المدخل الغربي
تصوير محمد عرفة

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

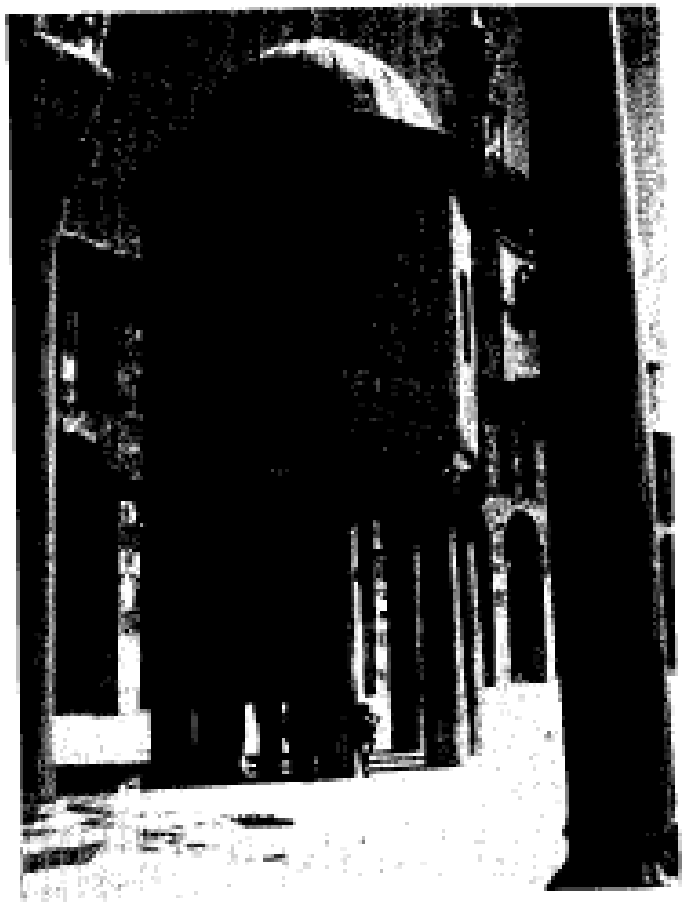

تصوير محمد عرفة

ش : ٢٢ ــ دمشق ، الجامع الأموي ، بيت المال

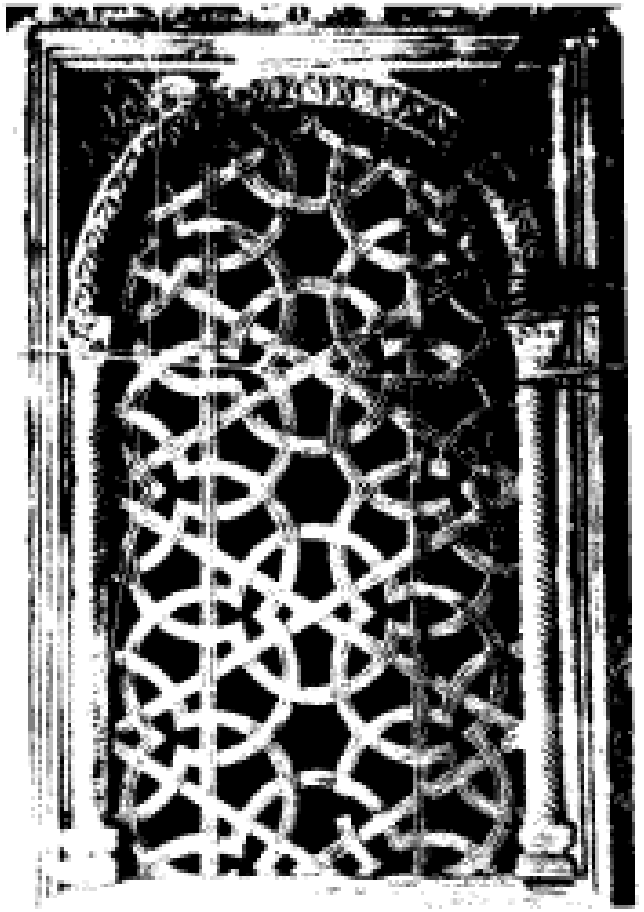

كريسول

ش : ٢٣ ــ دمشق ، المسجد الجامع ، فحصية من الرخام

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

(ش : ٢٦) . وأغلب الظن أن هذا التصميم كان نتيجة لتعاليم الدين الإسلامي بدوام التطهر والاغتسال ، ولم يوجد قبل العصر الإسلامي .

وبالإضافة إلى الحمامات الخاصة بالقصور والدور فقد شيدت الحمامات العامة منذ أول الفتوح الإسلامية كان منها حمام شيده عمرو بن العاص في الفسطاط سماه الناس بحمام الفأر تهكماً على صغر حجمه[٢١] .

كما يتجلى ذلك النضج والطابع المعماري العربي الإسلامي فيما تميز به قصر المشتى

(ش : ٢٨) بوجود أربعة بيوت لعلها كانت للزوجات الأربع الشرعيات ، ويمثل كل منها النموذج الشامي للمسكن ، والذي لم يعثر له على أمثلة أخرى من بعد العصر الأموي ، حيث ساد بعد ذلك النموذج العراقي الذي سنتحدث عنه بعد قليل .

كذلك تتميز الواجهة الرئيسية لقصر المشتى الذي وضع في محورها الباب الوحيد للمدخل إلى القصر بأنها قد شيدت بالحجر المتقن النحت والبناء ، وليس ذلك فحسب بل أن

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

ش : ٢٤ ــ الأردن ، قصير عمره ، واجهة خلفية

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

قطاعاً كبيراً منها قد زخرف بارتفاع نحو خمسة أمتار بزخارف محفورة في الحجر وبغاية الدقة والمهارة، وبلغ من مستواها الرفيع أن طلبها إمبراطور ألمانيا هدية من السلطان عبد الحميد عندما زاره في استنبول ، ونقل ذلك القطاع كله إلى برلين ووضع في قاعة خاصة في متحف الدولة هناك وهو يوجد الآن في القطاع الشرقي من تلك المدينة (ش : ٢٩ و ٣٠) .

غير أنه لم يكمل من بناء ذلك القصر إلا الجدران الأربعة الخارجية ، ثم البيوت الأربعة التي تحيط بما اصطلح على تسميتها بقاعة العرش ذات الحنيات المجوفة الثلاث . ويوجد محراب مجوف في الجدار الجنوبي الخارجي ووضع في محور مساحة مستطيلة كانت مخصصة لمسجد (ش : ٢٨) .

كما يتجلى النضج أيضاً في قصر خربة المفجر ، إذ تدل الأنقاض الباقية منه على أنه قد شيد في أسلوب غاية في الدقة والإحكام . وكان يتكون تصميمه من عدة أبنية ، منها القصر الكبير الذي يتوسطه فناء متسع وفي كل من جوانبه الأربعة رواق واحد ، وتحيط بالأروقة الوحدات الأخرى من قاعات وحجرات ومرافق إلى غير ذلك .

وفي الجهة الشمالية من القصر حمام متسع يختلف في تصميمه عن الحمام الروماني التقليدي . ويفصل الحمام عن القصر فناء مربع يكاد يعادل في مساحته فناء القصر نفسه . ثم يتقدم المجموعة كلها ساحة متسعة مستطيلة

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

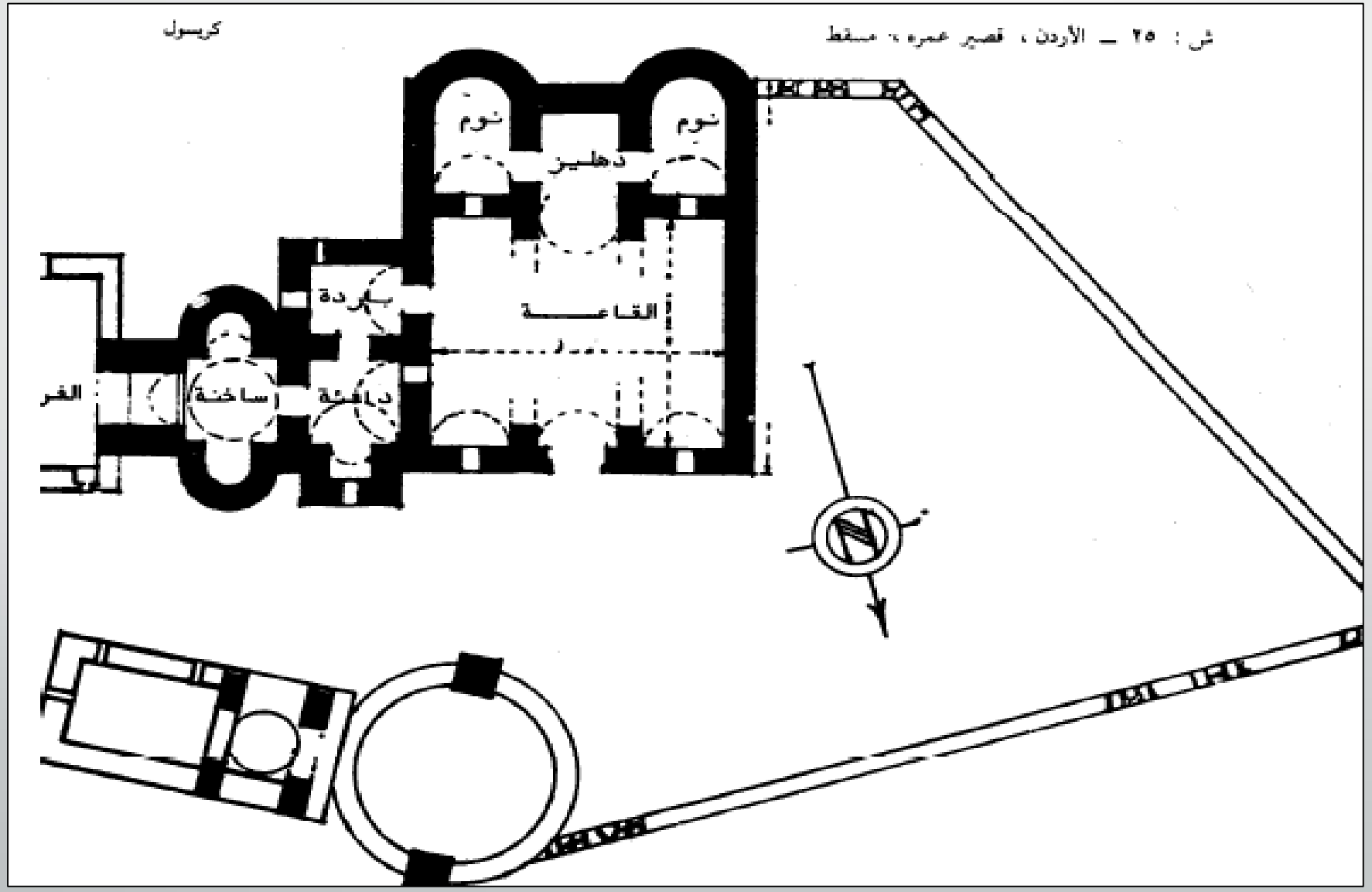

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

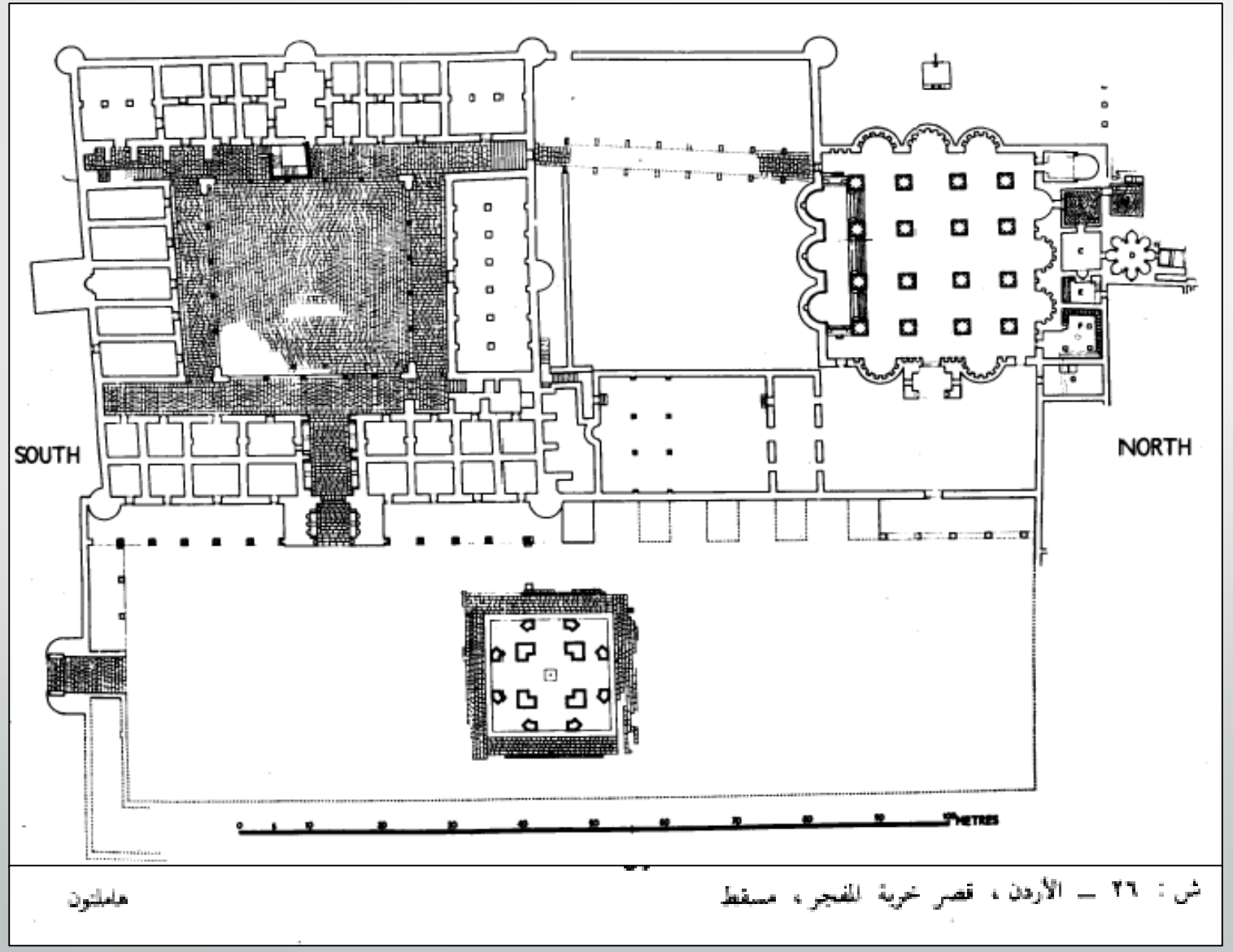

ش : ٢٦ ــ الأردن ، قصر خربة المفجر ، مسقط

هامبلون

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

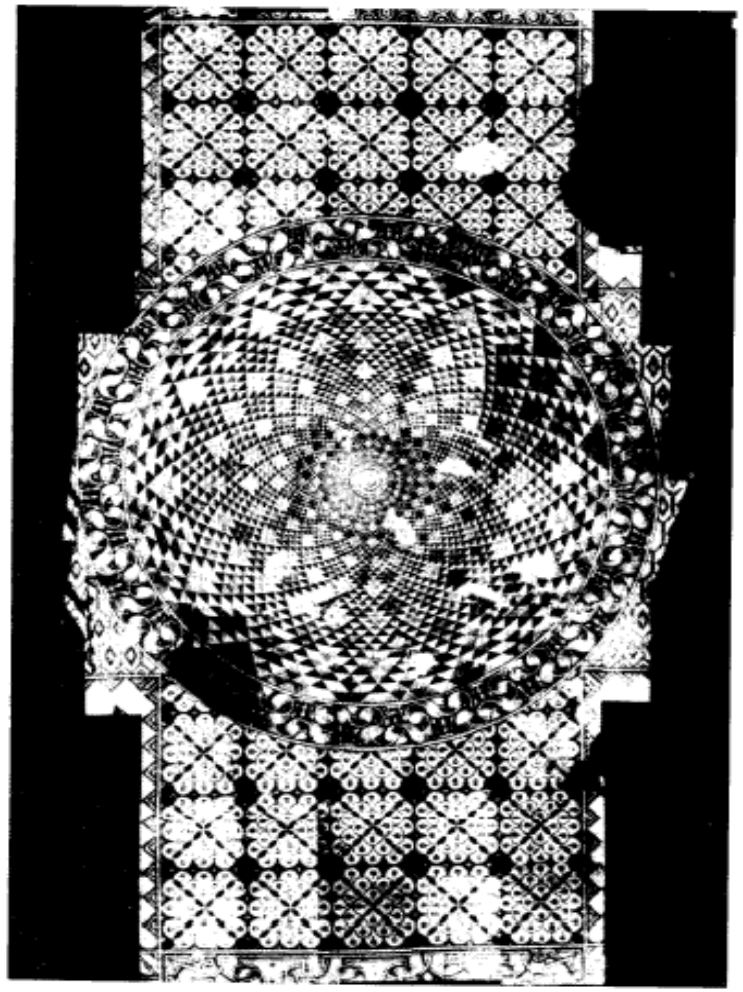

ش : ٢٧ ــ الأردن ، قصر خربة المفجر ، فسيفساء أرضية

هاملتون

الشكل ، وضع في كل جانب منها سقيفة من رواق واحد ، ويتوسط هذه الساحة جوسق بديع التصميم .

* * *

ومن الملاحظات الهامة التي تتعلق بتأثير الحضارة الإسلامية ، أن جميع الفسيفساء في كل من قبة الصخرة والمسجد الأموي بدمشق ، والتي كانت وما تزال تغطي مسطحات كبيرة من الجدران (ش : ١٦ و١٧ و٢٠ و٢١) ، تتألف من عناصر زخرفية هندسية ونباتية وكتابات كوفية كالموجودة في قبة الصخرة (ش : ١٧) ، وتعد أقدم مثل منها في العمائر

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

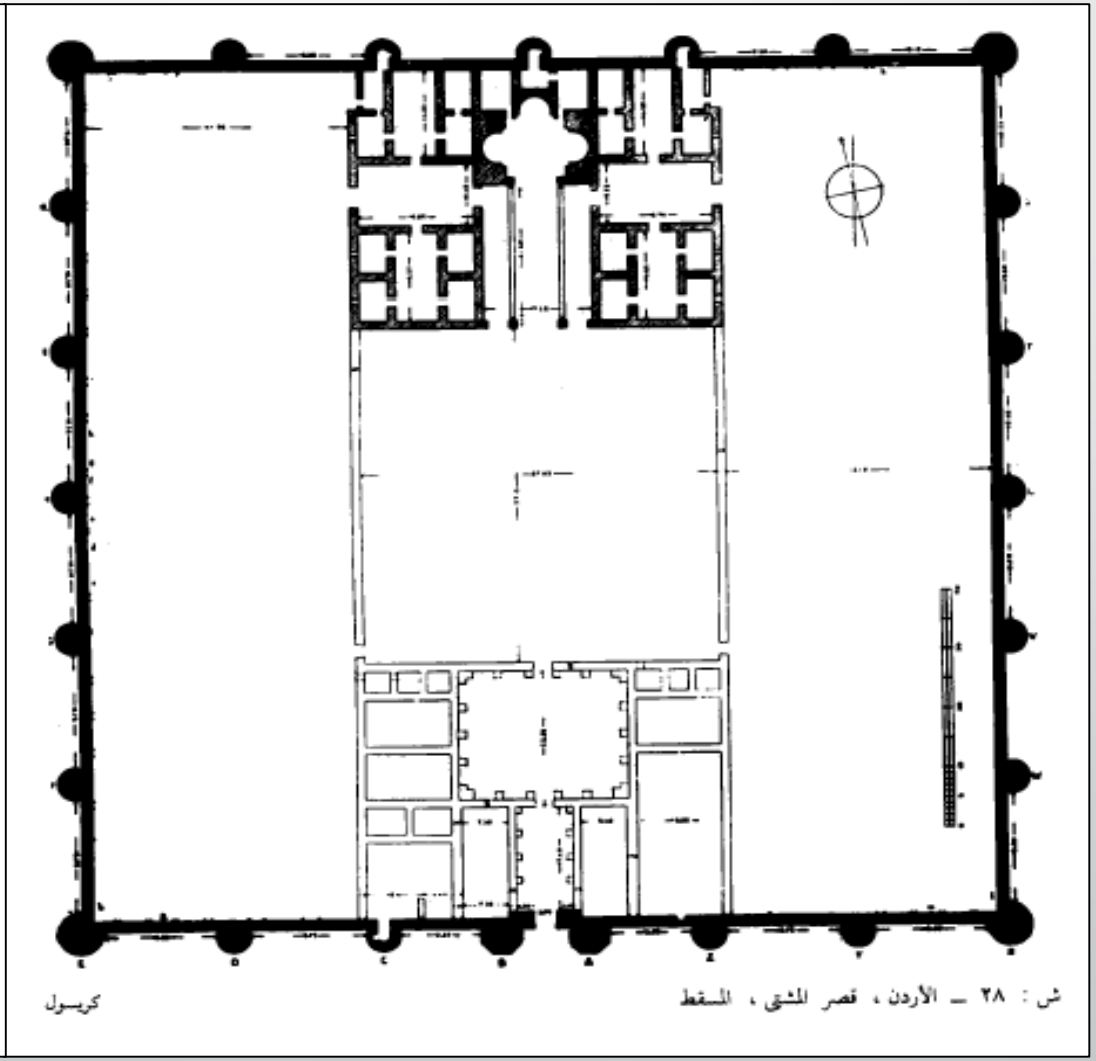

ش : ٢٨ ــ الأردن ، قصر المشتى ، المسقط

كريسول

ش : ٢٩ ــ الأردن ، قصر المشتى ، الجدار في متحف برلين

كريسول

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

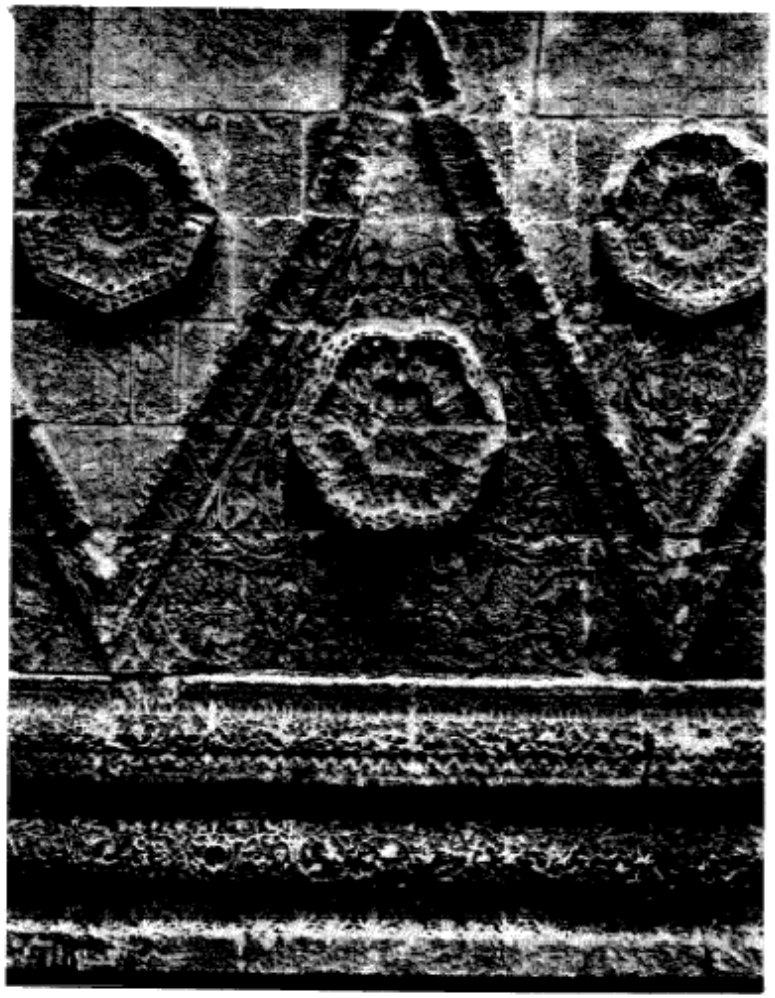

ش : ٣٠ ــ الأردن ، قصر المشتى ، تفصيل من الزخارف

كريسول

العربية الإسلامية ، وبالإضافة إلى تلك العناصر الزخرفية في جامع دمشق مناظر طبيعية من أشجار وأبنية وغيرها من العناصر[٢٢] ، أو بمعنى آخر أنها تخلو تماماً من صور أو زخارف من الكائنات الحية التي لم تكن تلق ترحيباً من المسلمين وبخاصة في العمائر الدينية التي ينتمي إليها كل من قبة الصخرة والمسجد الأموي بدمشق . ولكننا نلاحظ أن الفنانين لم يتورعوا عن عمل التماثيل والصور والزخارف من الكائنات الحية كما في قصر المشتى (ش : ٣٠)[٢٣] وقصر خربة المفجر[٢٤] ، بل إن قصير عمره به كثير من الرسوم الجدارية الملونة وتمثل أشخاصاً ونساء ومناظر مختلفة[٢٥] .

وعلى الرغم من وجود تأثيرات من طرز

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

سابقة على تلك الزخارف والصور من الكائنات الحية إلا أنها تتميز بطابع جديد وأسلوب خاص يتضح فيه اختلاف محسوس عن الأسلوب التقليدي في تلك الطرز .

هذا وتشترك أغلب القصور الكبيرة في وجود مسجد بداخل كل منها ، مثل المسجد في قصر الحير الشرقي[٣٦] ، ومسجدان في قصر خربة المفجر ومسجد في قصر المشتى ، إلى غير ذلك .

ومن الملاحظ كذلك أن جميع القصور الكبيرة سواء تلك التي شيدت بالبادية أو بالمدن قد دعمت جدرانها بالأبراج نصف الدائرية (ش : ٢٦ و ٢٨) .

وتدور عجلة الأيام لتأتي بمرحلة هامة أخرى في تاريخ العمارة العربية الإسلامية بعد المراحل الهامة السابقة . وجاءت تلك المرحلة بعد وقوع حدثين حضاريين كان لكل منهما تأثيره على الاتجاهات المعمارية في العالم العربي الإسلامي .

ويتمثل أحد الحدثين في فرار آخر الأمويين وهو عبد الرحمن الملقب بالداخل إلى الأندلس ، وتأسيسه للدولة الأموية الغربية فيها ، وهو الذي أنشأ مسجد قرطبة الذي بدأت به أولى مراحل نضج العمارة العربية الإسلامية في الأندلس .

ويتمثل الحدث الثاني في انتقال حاضرة الحكم من دمشق قاعدة الأمويين في الشام إلى العراق معقل العباسيين وإلى بغداد الحاضرة الجديدة التي أسسها العباسيون بعد فترة قليلة من قيام دولتهم تبلغ نحو ١٥ سنة .

* * *

ويعين بناء مدينة بغداد نقطة تحول حاسمة في تاريخ الحضارة والعمارة العربية الإسلامية وتخطيط المدن في العالم الإسلامي كله (ش : ٣١)[٣٧] .

ذلك أن تخطيط مدينة بغداد قد اتبعت فيه خطوات من البحث والتدقيق وقام على دراسات عميقة للموقع والتصميم وتوزيع المناطق المختلفة أسفرت عن نظام هندسي يقوم على عمل حلقات دائرية من الأسوار لكي تحصر المناطق السكنية وغير السكنية بينها ، وتحيط كلها بساحة دائرية كبيرة تتوسط المدينة ، ويقوم في مركز الدائرة قصر الخليفة والمسجد الجامع الكبير . وكانت الطرق الرئيسية وأبواب المدينة الأربعة تتجه نحو مركز المدينة المدورة ، وهو اسم من الأسماء العديدة التي كنيت بها تلك المدينة في كتب المؤرخين القدماء .

ولكن من المآسي التاريخية أن لا يصلنا أي أثر واضح من تلك المدينة ذات الصيت العظيم والتي شهدت وجرت فيها أحداث حضارية خطيرة وجليلة ، ولا يزال رنينها يدوي حتى وقتنا الحاضر .

فلقد نكبت بغداد والحضارة العربية الإسلامية في أوائل القرن ٧ هـ (١٣ م) باكتساح المغول لها وإحراقهم إياها بما كان فيها من كنوز معمارية وتراث حضاري استغرق تطورها ونضجها نحو أربعة قرون ونصف ، وضاع ذلك كله تقريباً في الحرائق التي أشعلها المغول والدمار الذي أحدثوه فيها وفي البلاد التي تعرضت لعواصفهم المخربة الضارية .

وما كنا لنعلم شيئاً عن تلك المدينة

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

وعظمتها المعمارية لولا ما جاء في المخطوطات التاريخية[٢٨] ، وكان منها ما حمله من نجا من أهلها بالفرار منها ومن أهل البلاد الأخرى التي اكتسحها المغول ، ووصل أولئك الناجون ببقايا تلك المخطوطات إلى البلاد التي هاجروا إليها ، وهي آسيا الصغرى والشام ومصر .

وقد أمكن من الأوصاف الدقيقة التي وردت في تلك المراجع تصور تخطيطها وعمل رسوم تصويرية لها (ش : ٣١)[٢٩] .

وأحدثت غارات المغول فجوة خطيرة في تسلسل مراحل تطور الطراز المعماري العربي في منطقة الشرق الإسلامي ، أي فارس والعراق ، وليس من السهل والحالة هذه أن نتتبع في وضوح معالم وتقاليد ومفاهيم وتفاصيل ذلك الطراز في تلك المنطقة بوجه عام وفي مدينة بغداد بوجه خاص في فترة تقرب من قرن .

* * *

ش : ٣١ ــ بغداد ، تخطيط المدينة المدورة

مديرية الآثار ــ بغداد

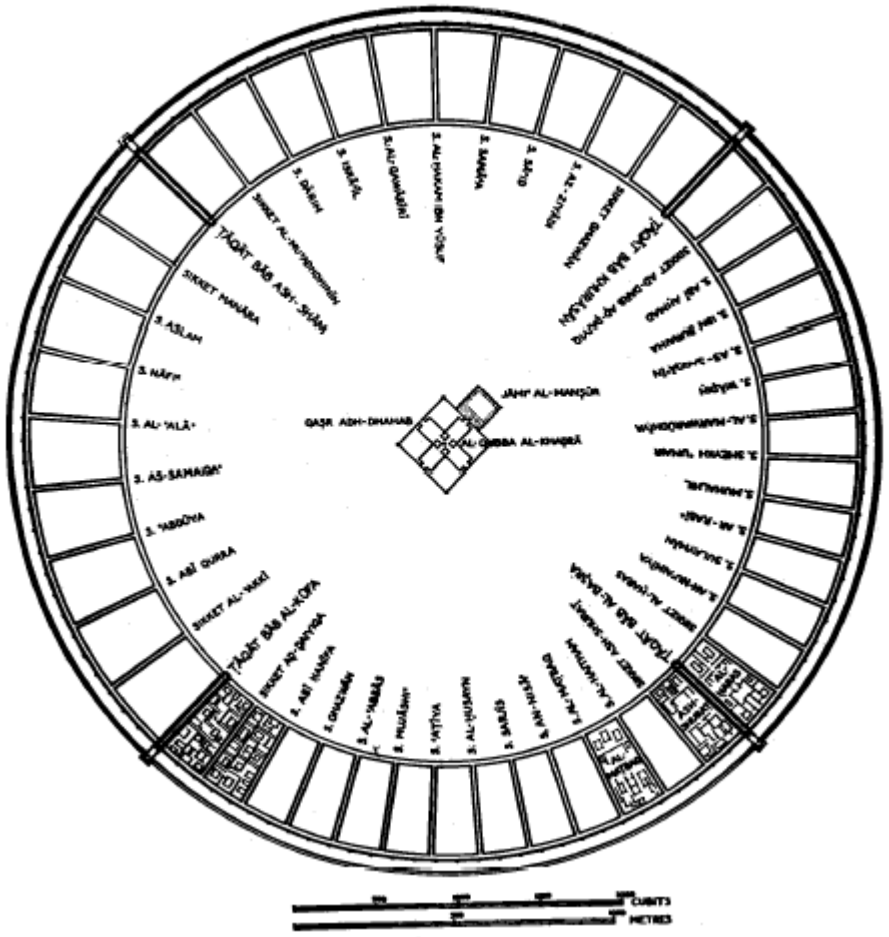

العمارة العربية الاسلامية في عصورها المبكرة , القرن (1-3) هـ / (7-9) هـ

ويعوضنا بعض الشيء عن تلك الخسارة الفادحة التي أصابت تاريخ العمارة الإسلامية في حواضر قديمة وفي بغداد بوجه خاص ما بقي من خرائب مدينة سامرا أو «سرّ من رأى» ، وهي الحاضرة العباسية الثانية التي بدأ عمرانها بعد بناء بغداد بنحو ثلاثة أرباع القرن ، وذلك بعد أن ضاقت الحاضرة الأولى بأهلها وبالأعداد الكبيرة من عسكر جيوش الخلافة الذين أسرف الخلفاء في جلبهم من أواسط آسيا .

كانت مدينة سامرا ثالثة المدن التي خططها العرب المسلمون على نظم هندسية ، فقد سبقتها وسبقت بغداد مدينة الرقة[٣٠] على نهر

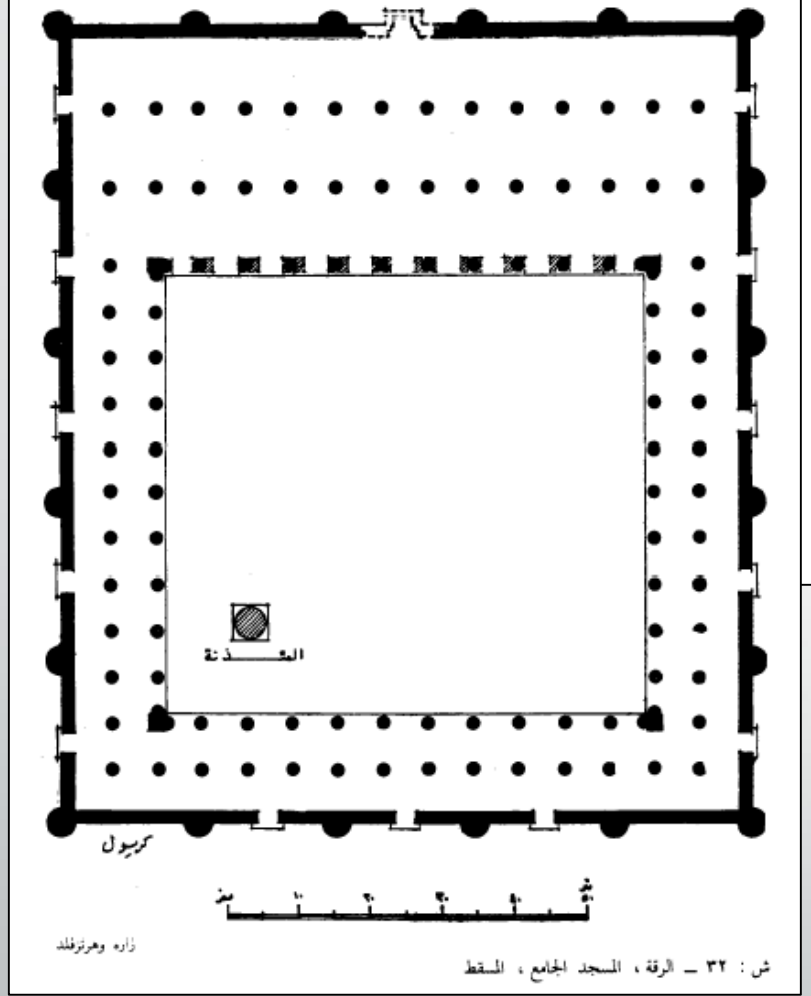

ش : ٣٢ ــ الرقة ، المسجد الجامع ، المسقط